

الإسلامي، ومن ثم يصل إلى نتيجة مهمة وهي أن المستقبل ينبع من التراث، من الماضي، وبذلك يؤكد على النظرة الماضوية للمستقبل؛ إذ يعتقد أن الاشتراكية العلمية قد نبعت من تراثنا، ومن هنا راح يسأل: "ما هي الاشتراكية التي يمكن الشعب العربي بفنائه المسلمة أن يختارها دون أن يعتققيها أجنبية؟ بكلمة أخرى، هل نتاح لهذا الشعب أن يحقق اشتراكية إسلامية خاصة تتبع من مسار تاريخه الخاص" (14).

يبدو أن المنهج المختار قد حدّ من طموحات هذه القراءة وجعلها تقبع في خانة أحادية التفكير التي تبجل الجانب المادي وتفضله على غيره من الجوانب، وأصبحت قراءة فوقية لم تستطع أن تقدم مشروعاً مستقبلياً على الرغم من استفادتها من الجانب العلمي والظروف السياسية العالمية المساعدة. إنها قراءة ألغت مشاريع أخرى واستخفت بها ونظرت إليها نظرة أيديولوجية، وحتى تلك الأدوات الإجرائية التي استفاد منها كانت تراثاً في مجتمعها.

إن ما نسعى إليه هو التأكيد على أن الدراسات المستقبلية عندنا نظرت إلى المستقبل من خلال الماضي، وأظن أن السبب يعود إلى أننا تخلينا عن إنتاج المعرفة وأصبحنا نستهلكها. وإذا كان هدفنا الكشف عن هذه النظرة، فإننا لا نقصد إلى الحط من قيمة رجال الفكر ومن مشاريعهم، فنحن نكن لهم كل الاحترام والتقدير، ويكفيهم فخراً أنهم سعوا إلى تقديم هذه المشاريع.

لقد تقدم الجابري بمشروع حضاري شجاع وأكثر جرأة مستعملاً أدوات إجرائية نابعة من التراث مستفيدة مما وصلت إليه مستويات القراءة ومن قدرات التحليل والمعالجة والاستنباط، واستطاع الجابري أن يقدم إسهام المغاربة في المشروع الحضاري، فقد حلل العقلية العربية تحليلاً علمياً واستطاع أن يناقش مشروعه بصوت عال. إنه قراءة حدثية من دون إهمال خصائص التراث العربي الإسلامي؛ ليكون مشروعه شاملاً ومكماً للمشاريع السابقة والتي بقيت حبيسة عصرها وزمنها، وجاء ليعكس انفتاحاً على الحدثية الغربية من دون الانسلاخ عن الحضارة العربية الإسلامية.

وقد وجه نقد إلى هذا المشروع أيضاً، فقد تتبّع علي حرب هذا الطرح وانتقد وجهة الجابري في قراءته للتراث بروح علمية عالية مراجعة للطروحات والأفكار.

ولعل بسؤرة هذا التوجه هي لماذا العودة إلى التراث؟ يقول علي حرب "وفي الحقيقة إن الفكر الغربي لم يفتأ منذ الأزمنة الغابرة، أي منذ البداية